

أوجبت جودة الشعر اغتفار افتقار كل من البيتين لصاحبه. ألا ترى أن ذلك لم ينقص من حسن قول عمر بن أبي ربيعة:

لَيْتَ هِنْدًا أَنْجَزْتَنَا مَا تَعَدُّ      وَشَفَّتْ أَنْفَسَنَا مِمَّا نَجِدُ  
وَاسْتَبَدَّتْ مَرَّةً وَاحِدَةً      إِنَّمَا الْعَاجِزُ مَنْ لَا يَسْتَبِدُّ  
زَعْمُهَا سَأَلْتُ جَارَاتِهَا      وَتَعَرَّتْ ذَاتَ يَوْمٍ تَبْتَرِدُ:  
أَكَمَا يَنْعَتَنِي تُبْصِرْنِي      عَمْرُكُنَّ اللَّهُ أَمْ لَا يَقْتَصِدُ؟  
فَتَضَاحَكَنَّ وَقَدْ قَلْنَ لَهَا:      حَسُنُ فِي كُلِّ عَيْنٍ مَنْ تَوَدُّ  
حَسَدًا حَمَلْتَهُ مِنْ أَجْلِهَا      وَقَدِيمًا كَانَ فِي النَّاسِ الْحَسَدُ

لا أراك تشك في أن هذا الشعر بالغ من الحسن غاية ما يمكن. ولم يؤثر فيه افتقار البيت لصاحبه إذ كان المعنى مستدعياً ذلك»<sup>(١)</sup>.

وجاء أحسن ما قاله في ترابط الأبيات في تقيظه لقصيدة البارودي التي مطلعها:

تَلَاهَيْتُ إِلَّا مَا يُجِنُّ ضَمِيرُ      وَدَارَيْتُ إِلَّا مَا يَنِيْمُ زَفِيرُ

فقد قال بعد أن انتهى من شرحها وتحليلها: «انظر - هداك الله - لأبيات هذه القصيدة، فأفردها بيتاً بيتاً تجد ظروف جواهر، أفردت كل جوهرة لنفاستها بظرف. ثم اجمعها وانظر جمال السياق وحسن النسق. فإنك لا تجد بيتاً يصح أن يقدم أو يؤخر، ولا بيتين يمكن أن يكون بينهما ثالث. وَأَكِلْكَ إِلَى سَلَامَةِ ذَوْقِكَ وَعَلُو هِمَّتِكَ، إِنْ كُنْتَ مِنْ أَهْلِ الرِّغْبَةِ فِي الْإِسْتِكْمَالِ، لِتَتَّبِعَ هَذِهِ الطَّرِيقَةَ الْمِثْلِيَّةَ»<sup>(٢)</sup>.

وقد عقب د. محمد مندور على هذا القول بما رفع قيمته، فقال: «وهذه العبارات - وإن تكن تقيظاً خالصاً - إلا أننا نحس فيها بشيء يعتبر جديداً كل الجدة في عصر الشيخ حسين. وهذا الشيء هو حديثه عن نسق القصيدة، وأنت لا تجد بيتاً يصح أن يقدم أو يؤخر... فمثل هذا النقد لم تسمع به في نقدنا الأدبي المعاصر إلا بعد ذلك بما يقرب من نصف قرن، عندما رأينا الأستاذين العقاد والملازني يطالبان متأثرين بالشعر الغربي بوحدة القصيدة العضوية، وتنسيق تصميمها، حتى رأينا الأستاذ العقاد ينقد قصيدة شوقي في رثاء الزعيم مصطفى كامل نقداً لاذعاً، ويستخدم في هذا النقد تفكك القصيدة، وانعدام النسق فيها، بحيث استطاع الناقد أن

(١) الوسيلة ٤٦٤/٢. رواد التجديد ٤٧. التراث النقدي ٤٨، ٥٣.

(٢) الوسيلة ٤٧٩/٢.